

الكشاف

الخيرة من التخير كالطيرة من التطير : تستعمل بمعنى المصدر هو التخير وبمعنى المتخير كقولهم : محمد خيرة ما يشاء ولهذا لم يدخل العاطف . والمعنى : أن الخيرة □ تعالى في أفعاله وهو أعلم بوجوده الحكمة فيها ليس لأحد من خلقه أن يختار عليه . قيل : السبب فيه قول الوليد بن المغيرة : " لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم " الزخرف : 31 يعني : يبعث □ الرسل باختيار المرسل إليهم . وقيل : معناه ويختار الذي لهم فيه الخيرة أي : يختار للعباد ما هو خير لهم وأصلح وهو أعلم بمصالحهم من أنفسهم من قولهم في الأمرين : ليس فيهما خيرة لمختار . فإن قلت : فإن الراجع من الصلة إلى الموصول إذا جعلت ما موصولة ؟ قلت : أصل الكلام : ما كان لهم فيه الخيرة فحذف فيه كما حذف منه في قوله : " إن ذلك لمن عزم الأمور " الشورى : 43 لأنه مفهوم " سبحان □ " أي □ برئ من إشراكهم وما يحملهم عليه من الجراءة على □ واختيارهم عليه ما لا يختار . " وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون وهو □ لا إله إلا هو له الحمد في الأولى وا " لأخرة وله الحكم وإليه ترجعون " ما تكن صدورهم " من عداوة رسول □ وحسده " وما يعلنون " من مطاعنهم فيه . وقولهم : هلا اختير عليه غيره في النبوة " وهو □ " وهو المستأثر بالإلهية المختص بها و " لا إله إلا هو " تقدير لذلك كقولك : الكعبة القبلة لا قبلة إلا هي . فإن قلت : الحمد في الدنيا ظاهر فما الحمد في الآخرة ؟ قلت : هو قولهم : " الحمد □ الذي أذهب عنا الحزن " فاطر : 34 ، " الحمد □ الذي صدقنا وعده " الزمر : 74 " وقيل الحمد □ رب العالمين " الزمر : 75 والتحميد هناك على وجه اللذة لا الكلفة . وفي الحديث : يلهمون التسبيح والتقديس " وله الحكم " القضاء بين عباده . " قل أرأيتم إن جعل □ عليكم الليل سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير □ بأتيكم بضياء أفلا تسمن قل أرأيتم إن جعل □ عليكم النهار سرمدا إلى يوم القيامة من إله غير □ بأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون " " أرأيتم " وقرئ : أرأيتم : بحذف الهمزة وليس بحذف قياسي . ومعناه : أخبروني من يقدر على هذا ؟ والسرمد : الدائم المتصل من السرد وهو المتابعة . ومنه قولهم في الأشهر الحرم : ثلاثة سرد وواحد فرد والميم مزيد . ووزنه فعمل . ونظيره . دلامص من الدلاص . فإن قلت : هلا قيل : بنهار تتصرفون فيه كما قيل : " بليل تسكنون فيه " ؟ قلت ذكر الأشياء وهو شوء الشمس : لأن المنافع التي تتعلق به متكاثرة ليس التصرف في المعاش وحده والظلام ليس بتلك المنزلة ومن ثمة قرن بالضياء " أفلا تسمعون " لأن

السمع يدرك ما لا يدركه البصر من ذكر منافعه ووصف فوائده وقرن بالليل " أفلا تبصرون " لأن غيرك يبصر من منفعة الظلام ما تبصره . وأنت من السكون ونحوه " ومن رحمته " زواج بين الليل والنهار لأغراض ثلاثة : لتسكنوا في أحدهما وهو الليل ولتبتغوا من فضل الله في الآخرة وهو النهار وإرادة شكركم .

" ويم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون " وقد سلكت بهذه الآية طريقة اللف في تكرير التوبيخ باتخاذ الشركاء : إيذاء بأن لا شيء أجلب لغضب الله من الإشراف به كما لا شيء أدخل في مرضاته من توحيدده . اللهم فكما أدخلتنا في أهل توحيدك فأدخلنا في الناجين من وعيدك .

" ونزعنا من كل أمة شهيدا فقلنا هاتوا برهانكم فعلموا أن الحق لله وضل عنهم ما كانوا يفترون " " ونزعنا " وأخرجنا " من كل أمة شهيدا " وهو نبيهم : لأن أنبياء الأمم شهداء عليهم يشهدون بما كانوا عليه " فقلنا " للأمة " هاتوا برهانكم " فيما كنتم عليه من الشرك ومخالفة الرسول : فعلموا حينئذ " أن الحق لله " ولرسوله لا لهم ولشياطينهم " وضل عنهم " وغاب عنهم غيبة الشيء الضائع " ما كانوا يفترون " من الكذب والباطل .

" إن قارون كان من قوم موسى فيغى عليهم وءاتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوأ بالعصبة أولى القوة إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين "